المعتقلون ووضعوا ألحانها بمجهود جماعي منسجم، مكان الصدارة (ص ١٧٦).

ومع تفجّر المواهب والقدرات الخلّاقة لدى معتقلي أنصار، لخّص التعمري الفكرة الجوهرية وراء هذا النشاط: «من الضروري ان نتعلّم كيف نحوّل الغضب ضد الظلم الى طاقة خلّاقة، بهدف ازالة ذلك الظلم، وبغض النظر عن الشكل الذي اتخذه، أو عن الشخص الذي تعرّض له». وتابع: «يجب ألّا يتكوّن، في داخلنا، احساس بالكراهية نتيجة ما حدث في العام ١٩٨٢، بل وعي بالظلم، وبضرورة الاتحاد، من اجل ان نصبح أقوياء أعزّاء بما فيه الكفاية، بحيث لا نسمح بتكرار ما حصل ثانية أبداً» (ص ١٤٤).

وبقدر ما كان ضرورياً ايجاد نوع من التوازن بين صلابة المعتقلين وقدرتهم على التحدي والصمود، من جهة، وبين قساوة السجّانين وعنف معاملتهم، من جهة أخرى، كان من الضروري، أيضاً، المحافظة على التوازن والوحدة الداخلية بين صفوف المعتقلين تجاه الازمات التي كانت تعصف بمنظمة التحرير الفلسطينية، بعد الخروج من بيروت وعشية الانشقاق في العام ١٩٨٣. وهنا، أيضاً، أثبت معتقلو أنصار عمق الوعي الوطني وصلابة الارادة الواحدة في وجه التحديات القاسية.

في هذه الاثناء، كانت الاتصالات الدولية، بايعاز من م.ت.ف. ومشاركة عدد من الاطراف، من بينها الرئيس النمساوي برونو كرايسكي، تنشط حثيثة من اجل اتمام عملية تبادل أسرى شملت، في المرحلة الاولى، ستة جنود اسرائيليين محتجزين لدى م.ت.ف. مقابل الافراج عن معتقلي أنصار وحوالى ألف من المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية، واعادة وثائق الارشيف ومحتويات مكتبة مركز الابحاث الفلسطيني في بيروت، التي نهبتها القوات الاسرائيلية في اثناء حرب العام ١٩٨٢. وبعد شهور طويلة من المداولات والمفاوضات والضغوط المتبادلة والتسويف الذي كاد ان يفجّر الوضع داخل معسكر أنصار، تمّ الافراج عن الدفعة الاولى من المعتقلين بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٣. وكان التعمري آخر من غادر المعتقل، حاملاً معه المفتاح للذكرى.

وكما تبيّن من تواتر الاحداث التي ذكرتها الكاتبة، فان خيط الاتصال لم ينقطع، اطلاقاً، طوال فترة الاعتقال بين أفراد المقاومة الفلسطينية داخل المعتقل وقيادتهم في الخارج. وكان ذلك يتخذ أشكالاً عدة، من بينها اللقاءات الصحافية، أو الاذاعية، مع صلاح التعمري، في اثناء فترة اعتقاله، واللقاءات مع مندوبي الصليب الاحمر الدولي، وزيارات الكاتبة لزوجها داخل اسرائيل، والأسرى القادمين الى المعتقل، أو المغادرين منه، وأخيراً، وليس آخراً، الاتصال الهاتفي الذي أجراه التعمري شخصياً، بحضور اهرون بارنياع، مع ممثل م.ت.ف. في جنيف، نبيل رملاوي، بتاريخ ١٩٨٣/٧/٨، خلال المراحل الاخيرة من المفاوضات بشأن تبادل الاسرى (ص ٢١٦ - ٢٢٢). وكان من الواضح ان اسرائيل تحرص على الاحتفاظ بخط مفتوح على القيادة الفلسطينية، من اجل الاطمئنان على سلامة جنودها الاسرى لدى م.ت.ف. والسعي الى تأمين مبادلتهم بما لديها من المعتقلين الفلسطينيين. ولكن هل كان هذا هو كل ما سعت اسرائيل اليه؟ للاجابة عن هذا السؤال لا بدّ من التطرّق الى المحور الثالث من الكتاب وهو محور العلاقات الشخصية.

بينلوبي تنتظر

لا يملك القارىء، وهو يلتهم صفحات كتاب يتناول سيرة ذاتية أو تجربة شخصية ألّا ان ينفعل بها، ويتفاعل معها، ويصبح جزءاً منها، ويتطور بينه وبين شخصيات الكتاب شيء من الألفة والتعارف. ولا بدّ من الاعتراف، هنا، بأن الكاتبة، لم تبخل علينا بالكثير من «الاشياء الخاصة» التي حفلت بها حياتها المشتركة مع زوجها صلاح، منذ لقائهما الاول في لندن، في صيف العام ١٩٦٨. فهناك المنزل في صيدا، والمكتبة التي بناها التعمري، والمدفأة وسهرات الشتاء الدافئة أمامها، والحديقة وأزهار الغاردينيا، والببغاء الافريقي. وهناك، أيضاً، الاشارة الى الصعوبات التي واجهها الاثنان، في البداية، بسبب اختلاف السن (هي تكبر زوجها بحوالى ١٤ عاماً) والفارق الاجتماعي والمادي (هي سليلة الاسرة الهاشمية وملكة الاردن سابقاً والتعمري من عائلة متواضعة الحال)، واصرارهما على التغلّب على جميع العقبات الذاتية، والموضوعية، للمحافظة على العاطفة التي جمعت فيما بينهما. ومظاهر التعبير عن هذه العاطفة اتخذت، لدى الزوجين، أشكالاً متعددة، من تحية الفجر الخاصة